كان بعث الروح المصرية فى رأى الرواد جميعا يعتمد على مفهوم التجربة أو الشعور بالفردية . ولذلك رأينا القصة المصرية الحديثة تبدأ بمناقشة هذا الجانب ، والبحث فى إذكائه . وقد تبين لهيكل فى رواية زينب أن ثمة مقومات أساسية ينبغى أن يعول عليها ، فالتجربة الفردية محتاجة إلى الحساسية القوية والخيال النشيط والقلق الجم . ولايمكن أن يتم للفرد ماينبغى من صقل أو تهذيب أو محبة نشيطة إلا إذا تمتع بهذه المزايا التى ظلت مهملة زمنا طويلا . فالخيال النشيط ـ على وجه الخصوص ـ نظر اليه على أنه مفتاح الشعور الفردى بالحرية . والحساسية القوية أصبحت مطلبا ينافس الشعور القديم بالتعقل وضبط النفس . ومن أجل إذكاء هذه الحساسية أخذ هيكل يصور الحاجة الى التجربة المتنوعة ، والتأمل الذاتى ، أو التطلع إلى نشاط النفس المستمر . هذا النشاط يجد دائماً عقبات خارجية تحول دون تحققه . ومن هنا تتضح معالم الصراع العامة أمام المفكر الحديث ، فالكاتب الحديث حريص على البحث عن نمو روح الفرد . ويحتاج هذا النمو إلى الإشباع العاطفى . ولأول مرة أصبح من الضرورى أن يناقش مفهوم هذا الإشباع فى ظل الفلسفة الجديدة ، هذا هو الجو الثقافى الذى عاش فيه المازنى .

كان المازنى يرى أن البعث رهن الشعور بإبداع الفرد ، وحيوية تجاربه ، وانطلاقه وبحثه عما يكمل ذاته وينميها . إن مهمة الفنان الأولى هى التأمل فى كيفية إنضاج الفرد لروحه ، هذا الإنضاج الذى ظهر منذ اللحظة الأولى أنه يعتمد على استقلال الشخصية ، والتخلص من العقبات الصناعية ، وإعادة كشف مفهوم حرية الفرد ، والبحث فيما يعترض الإنسان بسبب نقص الخيال وكسل العادة ، كان المازنى يعتقد أن الجماعة لاترقى بالأفراد . ولكن الفرد الممتاز يرتقى بالجماعة . فلا غرابة إذن أن يدور الاهتمام على الطابع الفردى الذى يبنى نفسه ، ويخلق تقاليده الخاصة ، ويبحث عن الضوء وسط ظلمات كثيرة .

وبعبارة أخرى كان على المازنى فى مفتتح النهضة أن يعيد التساؤل مثلا عن طبيعة الشعور الأخلاقى والجمالى من حيث علاقتهما ببناء الذات ، وأن يصور المفهوم التقليدى الذى يحفل بفكرة الحدود أو القيود . أقام المازنى صرحا رائعا لحرية التجربة